من أوراق السجون

لماذا أحبك؟

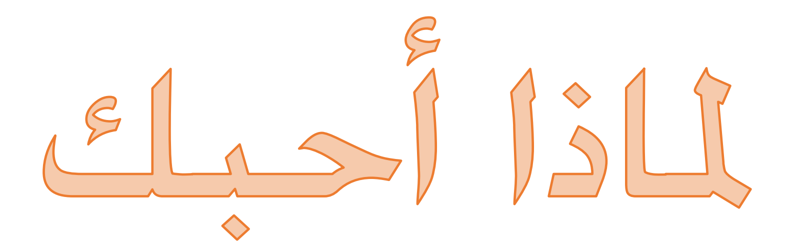


رسالة للابن الحبيب الأسير
أحمد بديع حسين

كتبها

م. عيسى خيري الجعبري

من أوراق السجون



رسالة للابن الحبيب الأسير
أحمد بديع حسين

كتبها

م. عيسى خيري الجعبري

الطبعة الأولى
سنة
1442 هـ / 2021 م

إهـداء

إلى القابضين على الجمر في زمن علا فيه التحوت وهلكت الوعول، وظهر الباطل وأهله، وانزوى الحق وأهله.

إلى الذين سيغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة، بمكانهم من الله تعالى لأنهم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم، ولا أموال يتعاطونها، وستكون وجوههم يومها نورًا، ويكونون على نور، لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس.

إلى المتحابين في الله أهدي رسالتي هذه.

قال ﷺ

إن مِنْ عِبادِ الله لأناسًا ما هُمْ بأنبياء، ولا شُهَداء، يَغبِطُهُم الأنبياءُ والشهداء يَوْمَ القيامة لِمكانهم من الله.

قالوا: يا رسولَ الله تُخبرنا مَنْ هم؟

قال: هُمْ قَوْمٌ تَحَابُّوا بروُحِ الله على غيرِ أرحامٍ بينهم، ولا أموالٍ يتعاطَوْنها، فوالله إن وجوهَهُمْ لنورٌ، وإنهم لعَلى نُور، لا يخافونَ إذا خافَ الناسُ، ولا يحزنون إذا حَزِنَ الناسُ.

وقرأ هذه الآية

﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢﴾

قصة هذه الرسالة

بتاريخ (2008/6/30) وكان يوم اثنين، حكمت المحكمة الصهيونية في (عوفر) على الأسير المجاهد (أحمد بديع حسين) من قلنديا البلد بالسجن الفعلي لمدة ثلاثين عامًا (وقد رفعت مدة الحكم إلى أربعين عامًا في محكمة الاستئناف بعد ذلك)، وكان (أحمد) بالنسبة لي ابنًا وأخًا وصديقًا ورفيق قيد، وكنا نعيش أيامها في سجن الرملة الذي لم يكن فيها إلا (الموقوفون) من الأسرى الذين لم تصدر أحكام بسجنهم بعد، وكانت إدارة السجن تنقل كل من يحكم عليه بالسجن إلى سجن آخر، ولذا كان معنى صدور الحكم بحق (أحمد) أن ساعة الفراق بيننا قد دنت، وكان معنى ذلك أننا قد لا يرى أحدنا الآخر في هذه الدنيا، وهذا ما حدث حتى الآن، فقد مرّ حتى الآن نحو ثلاثة عشر عامًا منذ افترقنا يوم الأربعاء (2008/7/16) لم أره خلالها، رغم أني دخلت السجن خلال هذه الأعوام الثلاثة عشر ست مرات قضيت خلالها أكثر من خمس سنوات فيه، إلا أنه لم يُقض لي أن ألقاه فيها، إذ كنت أسجن دومًا في سجن غير الذي يقضي حكمه فيه.

وعندما شعرت بدنوّ ساعة الفراق هذه كتبت له هذه الرسالة، وكانت بعنوان (لماذا أحبك)؛ لتبقى ذكرى يشدّ يده عليها، ولترسم له معالم في طريق الحياة يدله عليها محبٌّ مشفق.

هذه هي الحكاية.

أما من هو (أحمد بديع)؟ وكيف نشأت العلاقة بيننا فهو ما سأخطه قبل عرض الرسالة، إن شاء اللّه تعالى.

بداية الحكاية

وكأن السجون قدرٌ محتوم علينا – أهل فلسطين – فهي ضريبة الرباط في هذه الأرض المباركة، التي نحمد الله تعالى على أن جعلنا من أهلها، وقد كُتب عليّ أن يكون لي فيها تجارب متلاحقة، أسأل اللّه – جلَّ في علاه – أن يتقبلها مني، ويغفر لي ما كان من خلل أو تقصير خلالها.

ورغم أن السجن ليس مما يفرح المرء به، بل هو كئيب ذميم، إلا أننا – بفضل اللّه تعالى – كنا ننظر إلى الجانب المشرق من هذه التجربة المرّة، فكنا نلمح (المنحة) في ظلال (المحنة)، ولعلَّ من أعظم المنح التي وهبنا اللّه – جلَّ في علاه – إياها خلال فترات السجن أن تعرفنا على كثيرين من خيار الناس من أبناء شعبنا المجاهد المصابر، واكتسبنا إخوة نرجو أن يكون تآخينا وإياهم مما يُكسبنا رضوان اللّه تعالى، فقد تآخينا – كما جاء في الحديث الشريف – على غير أرحام بيننا، ولا أموال نتعاطاها.

وبالنسبة لي شخصيًا فقد اكتسبت في فترات سجني التي بلغت نحو عشر سنوات عددًا من الأحبة كان لهم في نفسي مكانة الابن الحبيب، والأخ القريب، ومن هؤلاء كان الأخ المجاهد (أحمد بديع حسين).

في تلك السجنة، وكانت السجنة الخامسة لي، وقد دخلت فيها السجن قادمًا من على كرسي الوزارة، إذ كنت قد توليت حقيبة وزارة الحكم المحلي في الحكومة الفلسطينية العاشرة التي شكلت حينها برئاسة الأخ (إسماعيل هنية) بعد فوز حركة حماس في انتخابات المجلس التشريعي سنة 2006، ولكن الاحتلال لم يصبر على ذلك فاعتقل أغلب وزراء الحكومة في الضفة الغربية وأغلب أعضاء المجلس التشريعي عن حماس، وذلك بتاريخ (29/ 6/ 2006م)، ونُقلنا حينها إلى سجن الرملة حيث قضينا فيه نحو سنتين.

قضينا الشهر الأول من سجنتنا تلك في عزل سجن (أيالون)، ثم نُقِلنا إلى قسم (10) في سجن (نيتسان)، وهو ضمن مجمع سجون الرملة أيضًا، حيث قضيت فيه أربعة أشهر في الفترة من (2006/7/30) وحتى (28/11/ 2006) ثم انتقلت منه إلى قسم (9) من نفس السجن، وكان الأسرى الأمنيون يعيشون في هذين القسمين فقط من سجن (نيتسان)، وبقية أقسام السجن كانت للأسرى الجنائيين.

وهناك في قسم (9) من سجن (نيتسان)، والذي تحولت تابعيته لاحقًا لإدارة سجن (أيالون) في نفس مجمع

السجون، وصار اسمه قسم (18) تعرفت على الابن الحبيب (أحمد بديع حسين).

كان أحمد – عندما دخلت القسم – يعيش في غرفة رقم (5)، بينما سكنت في غرفة رقم (7) مع ثلة طيبة من أسرانا، وقد بدأت التعرف عليه في ساحة السجن عندما كنا نلتقي في أوقات الفسحة (الفورة)، ودخل هذا الفتى قلبي أول ما رأيته، ثم ازددت حبًّا به لما كنت أسمعه عنه من الذين عايشوه من إخواني، وتوثقت هذه المحبة كلما ازدادت العلاقة بيننا.

كان (أحمد) حريصًا على الاستفادة من مدة سجنه، فكان يشارك في مسابقات حفظ القرآن الكريم التي يعقدها مركز النور للتحفيظ في القسم، وقد شاركت في التسميع له ولغيره من شبابنا برفقة شيخي النائب د. محمد ماهر بدر أكثر من مرة، ولفت نظري حرصه على الحفظ وعنايته بالقرآن الكريم.

وقد أوليته عنايتي فكنت أجلس معه لتعليمه أحكام التجويد، وتحفيظه القرآن، والتسميع له والتدقيق في حفظه، وكنت قد وضعت له برنامجًا للحفظ والمراجعة، تضمن حفظ الأجزاء الخمسة الأخيرة من القرآن الكريم، وقد بدأ بذلك بعد منتصف شهر كانون الثاني (1)، سنة 2008،

وسمّعت له الجزء الأخير – الجزء (30) – يوم 2008/4/8، وكان قد رافق ذلك فترة انقطاع عن الحفظ أثناء عمله في (المردوان).

ثم وضعت له برنامجًا لتثبيت ما حفظ، وأنهيت تسميع سورتي البقرة وآل عمران، والأجزاء الخمسة الأخيرة له بعد تثبيتها، وكان ذلك بتاريخ (2008/5/12).

وخلال جلساتي معه كنت أنصحه وأوجهه وأرشده، ومن ذلك أني أخبرتُه عن طريقةٍ مفيدة ليتبعها في تربية نفسه والارتقاء بها، وهي أن ينظر فيما حوله، فما كرهه من الناس فلا يأتينّه، وما أحبّه من أخلاقهم فليتمسك به، وقلت له أنه إن فعل هذا أفلح في تأديب نفسه خير تأديب وتهذيبها خير تهذيب.

وقد أخبرني في أحد الأيام أنه رأى رؤيا كان فيها أنه رأى نفسه يحلق شعره بنفسه، فسألته: عندما حلق هل كان شعره طويلا بحاجة إلى الحلاقة؟ فقال: نعم. وسألته: هل كان بعد أن حلق لنفسه أفضل وأجمل وأرتب؟ فقال: نعم، فانقدح لي في تأويلها رأي أرجو أن يكون صوابًا بإذن اللّه، مع أني لست خبيرًا بتأويل الرؤى، ولكن الرؤى فيها رموز، والرمز قد يختلف من شخص لآخر، ومن حالٍ لأخرى، والحلاقة – لمن طال شعره واحتاجها – تشذيبٌ وتهذيبٌ وهي تجميلٌ وتحسينٌ، هكذا

هي للجسد، فقلت له: لعل رؤياك هذه بشرى بأنك ستفعل ما أوصيتك به من طريقة تربية النفس، وستهذب نفسك بنفسك، وتُجَمّلُ أخلاقك وتُحسّن آدابك.

وقد سألنا أخي الشيخ (نايف الرجوب) – حفظ الله – وهو من العالمين بتأويل الرؤى عن هذه الرؤيا، فأوّل الحلاقة أنها إزالة للأذى، والحمد لله.

وكما أسلفت فقد كان أحمد يعيش في غرفة رقم (5) وكنت أنا أعيش في غرفة رقم (7)، فرغب بالانتقال عندي لأن ذلك أسهل لمتابعة برنامج الحفظ والإرشاد الذي كنا نسير عليه، وهكذا كان، فانتقل إلى الغرفة التي كنت فيها بتاريخ (11/ 9/ 2007)، فعشنا معًا في نفس الغرفة أربعة شهور، إذ اضطررت للانتقال إلى غرفة رقم (10) بتاريخ (14/ 1/ 2008) لضرورة اقتضاها وضع التنظيم حينها، ثم انتقل أحمد إلى غرفة رقم (8).

وكانت الفترة التي عشناها في غرفة (7) من أجمل فتراتنا في السجن، فقد كان معي فيها ثلة طيبة من الأحباب، فيهم من إخواني أعضاء المجلس التشريعي الذين كانوا معتقلين: شيخنا المجاهد محمد أبو طير (أبو مصعب)، والأخوان الحبيبان أحمد عطون (أبو مجاهد)، وعليّ رومانين (أبو بلال).

وكانت أجواء الغرفة طيبة عمومًا، وإن كان فيها بعض المنغصات أحيانًا، ومنها أن أحد الإخوة من الشباب كانت له تصرفات غير مقبولة، وكنا نشعر بغيرته من (أحمد بديع) ومن محبتنا له، فقد كان المشايخ الكبار كلهم يحبون (أحمد)، وقد تناقشنا في هذه المسألة فيما بيننا – مسألة غيرة فلان من محبتنا لأحمد – فقال بعض الإخوة: فليكن في أخلاقه وسلوكه مثل أحمد لنحبه كما نحب أحمد.

وكان أحمد في الغرفة لا يكاد يهدأ وهو في خدمة إخوانه، مع حياء زائد، وأدب جمّ، وابتسامة لا تكاد تفارق محيّاه، حتى أنني كنت أشعر بالسرور عندما كنت أوقظه لصلاة قيام الليل، إذ كان يمتاز عن غيره بأنه عندما توقظه – حتى في أيام البرد القارس – يفتح عينيه مبتسمًا، وكأن الابتسام جبلّة عنده.

مرت أيامنا ونحن نشعر بدفء الأخوة وأجواء المحبة، ولكن الاحتلال يأبى إلا أن ينغص علينا أيامنا، وكان السجن الذي نحن فيه يضم الأسرى الموقوفين الذين لم تصدر أحكام بحقهم بعد، وكان يتم نقل كل أسير يصدر حكم بالسجن بحقه من سجن الرملة هذا إلى سجن آخر، فأصحاب الأحكام العالية كانوا يُنقلون إلى سجون (نفحة) أو (ريمون) أو (إيشل)، أما أصحاب الأحكام المتوسطة والخفيفة فيتم

نقلهم إلى سجن (كتسيعوت) في صحراء النقب، وكنا كلما صدر حكم بحق واحد من أحبابنا ذوي الأحكام العالية نتجرع مرارة الفراق، الذي قد لا يكون بعده لقاء في هذه الدنيا.

وكانت محاكمات (أحمد بديع) قد اقتربت من مرحلة إصدار الحكم عندما انتصف العام (2008م)، فقد كان معتقلاً من شهر (3) سنة (2006م)، أي منذ أكثر من سنتين، وكان ابن قضيته الذي سجن معه، وهو الأخ (بلال كميل)، من (قباطية)، وكان يعيش عند إخواننا في حركة الجهاد الإسلامي، قد صدر بحقه حكم بالسجن لمدة عشرين عامًا، ونُقل إلى سجن جلبوع في بداية سنة 2008م.

وفي تلك الأيام عندما تكون هناك جلسة محكمة لـ (أحمد)، وكانت (بوسطة) المحاكم تتأخر أحيانًا في العودة ليلاً، كنت أبقى مستيقظًا مرتقبًا من شباك باب غرفتنا قدوم البوسطة لأطمئن عليه، وكان يسارع فور وصوله، فيترك الحراس الذين يوصلونه إلى باب غرفة (8) ويركض لباب غرفتنا – غرفة 10 – ليخبرني بما حدث معه يومها.

وبتاريخ (2008/6/24)، وكان يوم ثلاثاء، كانت عنده جلسة في المحكمة، وقد استمعت المحكمة يومها إلى شهادة أحد الذين أصابهم أحمد في إحدى عملياته، وكان قد طعن ذلك

المستوطن في رقبته، وانسحب تاركًا سكينه في جسد ذلك العفن، وكانت النيابة قد أحضرت ذلك المستوطن للشهادة تمهيدًا لأن تطلب الحكم بالسجن المؤبد على (أحمد)، وقد حاول ذلك المصاب استدرار عطف المحكمة بالادعاء أنه أصيب بإعاقة دائمة في يده وظهره وصوته، وبكى أمام المحكمة، وكالمتوقّع طلبت النيابة الحكم على (أحمد) بالسجن المؤبد، وتمَّ تأجيل النطق بالحكم إلى يوم الاثنين (2008/6/30)، وفي ذلك اليوم صدر حُكم المحكمة بإيقاع عقوبة السجن الفعلي بحق أحمد لمدة (30) سنة.

ويومها جاء كعادته إلى باب الغرفة، وأخبرني بالحكم، وهو مبتسم، راضٍ بقضاء الله، مسلِّمٌ أمره لله، ثم ذهب إلى غرفته، وانخرطت أنا في البكاء.

بعد ذلك كتبت له هذه الرسالة التي بين أيديكم؛ لإدراكي أن ساعة الفراق قد أزفت، وفي صباح يوم الأربعاء (2008/7/16) فقدت ابنًا عزيزًا على قلبي، حبيبًا إليَّ، أثيرًا لديّ، كانت رؤيته تبعث في قلبي الانشراح، والجلوسُ إليه يشعرني بالسعادة، فقد انتقل الحبيب إلى قلبي (أحمد بديع مصطفى حسين) إلى سجن (نفحة) تاركًا في قلبي صدعًا لا يلتئم، وألمًا مُمَزِّقًا، ودّعته ولا أدري أيُقضى لي أن ألقاه في قابل الأيام، أم أنّ لقاءنا لن يكون سوى في الدار الآخرة.

عندما جاء اسمه منقولاً وجهز نفسه جلست وإياه على الدرجات الواصلة بين الطابقين الأول والثاني في القسم انتظارًا لخروجه من القسم، ثم لما جاء الحراس لأخذه للبوسطة، وعانقته باكيًا، ولاحقته بنظراتي وهو يغادر باب القسم، كانت تلك المرة الأخيرة التي أراه فيها حتى يومنا هذا.

ودعت (أبا عبيدة) وعيني باكية، وكنت كالأب الثاكل، غير أني أحتسب ذلك عند الله، فلله الحمد على كل حال.

وأسأله – جلَّ في علاه – أن يمنَّ على الحبيب (أحمد بديع) بالفرج العاجل القريب، وعلى بقية إخواننا وأحبابنا، وأن يقر بذلك عيوننا كما أقرها بالإفراج عن ثلة من أحبابنا في صفقة وفاء الأحرار سنة (2011).

من هو أحمد بديع

في قرية صغيرة لا يكاد عدد ساكنيها يصل ألف نسمة، وترابط على مشارف القدس والأقصى ولد (أحمد) بتاريخ (13/ 7 / 1985 م)، لوالد فلسطيني مكافح اسمه (بديع مصطفى حسين) من أهل تلك القرية، وأمٍّ فلسطينية مصابرة اسمها (يسرى عطا) من بلدة (بيتونيا)، ودرج في تلك الأسرة التي تكونت – مع والديه الكريمين – منه ومن شقيق يكبره، وخمس أخوات أغلبهن يكبرنه في العمر.

التحق أحمد بالمدرسة، وقطع فيها شوطًا حتى وصل الثانوية الصناعية، ثم لم يكمل تعليمه فانتقل للعمل المهني، وكان يعمل في منطقة (عطروت) التي تقع داخل حدود القدس على الطريق الواصل إلى مدينة رام اللّه، ولا تبعد عن بلدته سوى مئات الأمتار، وتحوي منطقة صناعية تعتبر أكبر منطقة صناعية في القدس، وكان آلاف الفلسطينيين يعملون في مصانعها قبل اندلاع انتفاضة الأقصى سنة 2000 م.

كان (أحمد) منذ صغره يحمل همَّ الوطن، ويتوق للجهاد في سبيل اللّه، وكان يحمل عاطفة جياشة ترفض الظلم والذل، وقلبًا لا يعرف الخوف إليه سبيلاً، وكان يشتعل

غضبًا بعد كل جريمة يقوم بها الاحتلال ضد أبناء الشعب الفلسطيني، ويعبر عن غضبه هذا – هو صغير – بإلقاء الحجارة وزجاجات المولوتوف على دوريات الاحتلال.

وعندما عمل في منطقة (عطروت الصناعية) – وكان يوجد فيها الكثيرون من المستوطنين المحتلين من أصحاب المصانع والموظفين والعاملين فيها – وجد (أحمد) فرصته للثأر منهم، فكان يعمل كـ (ذئب منفرد)، وقام خلال وجوده في تلك المنطقة أثناء عمله فيها بخمس عمليات طعن انتقامًا من اعتبرهم معتدين على أرضه ومجرمين بحق أبناء شعبه، ومن طرائف ما حدث معه فيما حدثني أنه طعن أحد المستوطنين في إحدى عملياته، ثم بعد فترة – ويبدو أن إصابة المستوطن كانت متوسطة أو طفيفة – شفي ذلك المستوطن، وعاد للعمل في المنطقة، ورآه (أحمد) فعرفه، فطعنه مرة أخرى، ولكنه هذه المرة أصابه بشلل دائم، ولولا أنه غادر وترك السكين في رقبته فلربما انتهى أجله من تلك الطعنة لو كان أخرجها وتركه ينزف، هكذا قال لي.

لم يكن أحد يعرف بما يفعله أحمد أو يشعر بذلك حتى أهله وأقرب المقربين إليه، ولكنه تطلع لتطوير عمله، وتعرف على شاب مجاهد من العاملين في المنطقة واتفقا على شراء سلاح والقيام بعمليات عسكرية معًا، وكانت

هذه نقطة البداية لوصول المخابرات لطرف خيط لهما، ولعل ذلك كان عن طريق بعض من أرادوا شراء السلاح منه.
وفي يوم الأربعاء (15/ 3/ 2006م) فوجئ أهل أحمد بقوات الاحتلال تقتحم منزلهم وهم نيام، بعد أن كسروا باب البيت، وتبيّن أنهم جاؤوا لاعتقال (أحمد)، ذلك الشاب الهادئ الذي لا يعرف أهل بلده أن له أي نشاط.
حُوّل أحمد للتحقيق، حيث أمضى في زنازين التحقيق خمسة وسبعين يومًا استخدمت معه شتى وسائل التحقيق من الشتم والضرب والشبح والتعذيب، ولكنه صبر وصمد صمود الجبال ولم يعترف بشيء، وككثير من شباب المجاهدين الصغار الذين يعملون منفردين وقع أحمد في حيلة (غرفة العصافير) حيث اعترف بما عمل، وفرح الأعداء بوصولهم إلى ذلك الذي شيبهم فكان يضرب ضربته وينساح كالماء في التراب فلا يظهر له أثر.
حوكم أحمد في المحكمة العسكرية، ووجهت له لائحة اتهام تضمنت أربعًا وثلاثين تهمة، من بينها خمس عمليات طعن بالسكين، والتخطيط لشراء أسلحة لتنفيذ عمليات خطف للجنود وعمليات تفجير، إضافة إلى تهم متعلقة بما كان يفعله قبل ذلك من إلقاء الحجارة وزجاجات المولوتوف على سيارات الصهاينة.

استمرت محاكمات (أحمد) لأكثر من سنتين، منذ اعتقاله حتى صدر الحكم بحقه بتاريخ (2008/6/30) وكانت النيابة تطالب بإنزال عقوبة السجن المؤبد بحقه، ولكن المحكمة اكتفت بالحكم عليه بالسجن الفعلي لمدة (ثلاثين) سنة، ولاحقًا استأنفت النيابة الحكم فقبلت محكمة الاستئناف طلب النيابة وزيد حكم السجن بحقه ليصبح (أربعين سنة) كاملة.

قضى (أحمد) الفترة الأولى من سجنته في سجن الرملة، وهناك قابلته وتعرفت عليه، وعشت معه في نفس القسم نحو عشرين شهرًا، منها أربعة شهور في نفس الغرفة، ثم انتقل بعد صدور الحكم بحقه إلى سجن نفحة.

وخلال فترة سجنه اعتنى أحمد بنفسه، فأتم حفظ القرآن، وحصل على شهادة الثانوية العامة، ثم التحق بالدراسة الجامعية في السجن، فحصل على بكالوريوس التاريخ من جامعة الأقصى.

ولا زال أحمد، وقد مرت على اعتقاله خمس عشرة سنة، صامدًا في سجنه، محتسبًا ما أصابه عند ربه، منتظرًا – هو وأهله وأحبابه – أن يمنَّ الله تعالى عليه وعلى إخوانه بفرج عزيز من عنده.

بين يدي الرسالة

هذه الرسالة – التي كتبتها منتصف سنة 2008 – كذكرى بيني وبين ذلك الفتى الذي أحببته حبَّ الأب لابنه، والشيخ لتلميذه، سأعرضها كما كانت حين كتبتها، لم أغير فيها شيئًا، إلا في موضعين اثنين، كنت ذكرت في أحدهما عبارة على أنها حديث نبوي شريف، وتبين لي وأنا أخرّج نصوص هذه الرسالة أنه ليس له سند لرسول اللّه ﷺ، فغيرت صياغة الجملة لئلا يقع أحد القراء فيما وقعت فيه، وكانت هناك جملة ناقصة في الموضع الآخر يقتضيها السياق.

وقد قمت بتخريج الأحاديث التي استشهدت بها في رسالتي هذه، ونسبة الأقوال إلى أصحابها ما استطعت، باعتبار ذلك من باب الأمانة العلمية، ولئلا يقع غيري في ما وقعت فيه من نسبة حديث للنبي ﷺ وهو ليس من قوله، إذ ما نسبت الحديث المشار إليه أعلاه للنبي ﷺ إلا لأني سمعته – أو قرأته – كحديث شريف.

أما بقية الرسالة فبقيت كما كانت يوم كتبتها؛ إذ أريد منها أن تكون نموذجًا لما كنا نتعاطاه داخل السجن من

كتابات.

وهذه الرسالة نموذج للعلاقة الأخوية التي كانت – ولا زالت – تنشأ بين السائرين في طريق اللّه تعالى، وهم قوم اجتمعت قلوبهم على محبة اللّه تعالى، والتقت على طاعته، وتوحدت على دعوته، وتعاهدت على نصرة شريعته، فمنّ اللّه – جلَّ في علاه – عليهم – بأن وثق رابطة هذه القلوب، وأدام ودها، وهداها سبلها، وشرح صدورها بفيض الإيمان به وجميل التوكل عليه، وهم يديمون التوجه إليه – سبحانه – أن يحييهم بمعرفته، ويميتهم على الشهادة في سبيله.

لقد عاهدت الابن الحبيب (أحمد بديع) في نهاية رسالتي هذه على أن أديم الدعاء له، وقد مرَّ على هذه الرسالة أكثر من ثلاثة عشر عامًا، لم أره خلالها ولم ألتق به، ومع ذلك فلا أكاد أذكر أنه مرت ليلة أو يوم من حينها لم أدع له – ولبقية من بيني وبينهم عهد على الدعاء – بدعاء الرابطة، وكنت إذا مرت ليلة لم أدع بهذا الدعاء لمرض أو انشغال قضيته كما تقضى الواجبات.

وهذا أوان الشروع في المقصود إن شاء اللّه تعالى، سائلاً المولى – جل في علاه – أن يقر عيوننا بالتفريج عن أحبابنا وإخواننا الأسرى.

لماذا أحبك

المقدمة

الحمد لله حمدًا طيبًا كثيرًا مباركًا فيه

الحمد لله حمدًا يوافي نعمَه، ويكافي مزيدَه

والصلاة والسلام على سيدنا وحبيبنا رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه وسار على هداه إلى يوم الدين.

أما بعد:

توقفت هنا لحظة وأنا أريد أن أبدأ بمخاطبتك، وداخلتني الحيرة، هل أناديك (أخي الحبيب)، أم (ابني الغالي)، أم ماذا؟

فأنت عندي – والله يشهد – في مقام لا تُحسن الكلمات التعبير عنه، أخًا حبيبًا إلى قلبي، وأرى فيك ابنًا لم يرزقني الله إياه من صلبي، بل إنني أعتبرك قطعة من روحي ونفسي، ولا تستغربنَّ ذلك، فإن الأرواح التي تتسامى وتعيش في ملكوت الله قد يبلغ من تفاعلها ذلك أو أكثر منه.

ولكني قررت – بعد الحيرة – أن أنوّع خطابي لك في هذه الكلمات.

أيها الابن الحبيب:

أكتب لك هذه الكلمات وأنا أشعر بساعة الفراق قد حانت، فما هي إلا أيام قليلة، وإن طالت فلن تكون سوى أسابيع قليلة، ويمضي كل واحد منا في طريق، ويصبح لقاؤنا هذا في سجون الظالمين ذكرى في النفوس، والذكريات تذوي مع الزمن وتذوب، ولذلك أحببت أن أبقي لك – بل عندك – أثرًا من هذه الأيام، لعلي أظفر منك يومًا بدعوة صالحة في ظهر الغيب، تكون في ميزان حسناتي يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون.

أحببت أن أبقي لك هذه الكلمات لأني أحبك، ولأني – واللّه يشهد – أريد لك الخير كلَّ الخير، ولذلك أريد أن أبقي لك بعض الكلمات من أخٍ محبّ مشفقٍ، رجاؤه أن يلقاك وبقية إخوانه الذين يحبهم في ظل عرش الرحمن، وأنا في ذلك أسير على خطى خير سلف، فقد قال سيدنا رسول اللّه ﷺ لصاحبه معاذ بن جبل رضي الله عنه: (يا معاذُ واللّه إني لأحبُّك)، ثم أوصاه فقال له: (أُوصيكَ يا معاذ: لا تَدَعنَّ في دُبُرِ كُلِ صلاةٍ تقول: اللهُمَّ أعني على ذِكْرِكَ وشُكْرِكَ وحُسْنِ عِبادَتك) [(1)].

فهذا منهج الصالحين في محبتهم: دلالة أحبابهم على طرق الخير ليبقى هذا الحبّ وأثره إلى يوم الدين، يوم اللقاء عند ربّ العالمين.

(1) حديث صحيح: سنن أبي داود، ح 1522، سنن النسائي، ح 1303.

ويحضرني – أيضًا – ذلك الكتيب اللطيف الذي ألّفه الإمام أبو حامد الغزالي رحمه اللّه تعالى، وعنوانه (أيها الولد)، وفيه يخاطب أحد تلامذته الذين كان يربيهم، وقد سأله ذلك التلميذ النصيحة، يخاطبه خطاب الأب المشفق إلى ابنه البارّ، وإني – وإن كنت لن أجعل خطابي هذا لك كخطاب الغزالي لتلميذه – إلا أنني من نوره أقتبس، وعلى نهجه أسير، فهو من علماء القلوب الأفذاذ، رحمه اللّه تعالى.

أيها الأخ الغالي:

سأكتب لك بعض الخواطر التي تدور في ذهني، بعضها فيه تعبير عن مشاعري وبيان لها، وأخرى هي إلى التوجيه والنصيحة أقرب، وكما قلت لك: فالمحبّ الحقيقي يحرص على نصيحة محبوبه لسلوك طرق الخيرات.

وستكون كلماتي لك على شكل خواطر أو وقفات أو مقالات، آملاً منك أن تعذرني على أيّ تقصير كان منّي، وتستر عليَّ زلاتي.

وامض بنا الآن إلى حيث أريد أن أسير بك.

جواب السؤال

لماذا أحبك؟

هذا سؤال سألته لنفسي مرة، وتحاورت فيه مع بعض إخواني أخرى: لماذا نُحبُّ فلانًا ولا نشعر بنفس المشاعر مع علان؟

أما لماذا أريد أن أخبرك بالجواب، فلأني أريد منك – أيها الحبيب الغالي – أن تُدرك مواطن الخير التي تقرّبك من اللّه ومن عباده، لتحافظ على هذه النعم التي جعلت لك في قلبي وفي قلوب غير مكانًا متميّزًا.

وأنا أعلم أن المدح في الشرع منهيٌّ عنه خوفًا على الممدوح من الفتنة والغرور، ولكن هذا الكلام ليس على إطلاقه، فبعض المدح الذي يهدف إلى تنمية الخير وإلى تثبيته في النفوس، وخصوصًا إذا كان المادح يعرف نفسية الممدوح وأن عنده من الورع – إن شاء اللّه تعالى – ما سيحجزه عن الغرور والإعجاب بالنفس، بعض هذا المدح قد يفيد، وإني لأرجو أن تكون عند حسن ظني، فلا يدفعك مدحي إياك والثناء عليك لأي نوع من الغرور والعُجْبِ المذموم.

ولن يفوتني أن أنبّهك أنه لا يُمنع في الشرع أن يفرح المؤمن بثناء الناس عليه، انظر إلى قوله تعالى: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ

﴿فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ٥٨﴾ [يونس].

وعندما سئل رسول الله ﷺ عن ثناء الناس على المؤمن قال: (تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ) [1].

نعود الآن للجواب على السؤال: لماذا أحبك؟

الحبّ – أيها الأخ الحبيب – ليس شيئًا إراديًّا [2] نملكه بأيدينا، بل هو قدر من قدر الله تعالى، جعله الله لنا نوعًا من أنواع الابتلاء، ليعلم من يكون منا حبّه لله وفي الله، أي في سلوك سبيل الله، من غير ذلك.

ولعل أصدق ما يعبر عن هذا الأمر – مسألة أن الحب والبغض أمران لا إراديان – هو أن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه تساءل عن ذلك، فقد ورد في الحديث أن عمر رضي الله عنه سأل عليًا

---

(1) الحديث صحيح، رواه مسلم في صحيحه، ح 2642، عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه، ولفظه: (قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: أَرَأَيْتَ الرَّجُلَ يَعْمَلُ الْعَمَلَ مِنَ الْخَيْرِ، وَيَحْمَدُهُ النَّاسُ عَلَيْهِ؟ قَالَ: تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ).

(2) الحب نوعان: أحدهما حبٌّ طبعي لا إرادي، يميل فيه المحب نحو محبوبه بلا سبب ظاهر، وحبٌّ اختياري عقلي، وحقيقته إيثار ما يقتضي العقل رجحانه ويستدعي اختياره، وإن كان على خلاف الهوى، والحكم التكليفي متعلق بالحب الاختياري؛ لأنه إرادي، وليس بالحب الطبعي اللاإرادي، والحب الطبعيّ اللاإراديّ ينمو ويترسخ كلما لاحظ المحبُّ في محبوبه المحاسن.

بن أبي طالب رضي الله عنه، فقال له: (الرَّجُلُ يُحِبُّ الرَّجُلَ لَمْ يَرَ مِنْهُ خَيْرًا، وَالرَّجُلُ يُبْغِضُ الرَّجُلَ وَلَمْ يَرَ مِنْهُ شَرًّا؟) قَالَ: (نَعَمْ، قَالَ رَسُولُ ﷺ: الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ تَلْتَقِي فَتَشَامُّ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ، وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ) [1].

ولعل هذا يجيب على قسط من السؤال، لماذا نحبُّ فلانًا أو نكره فلانًا، ولكنه لا يجيب على بقية السؤال، وهو: لماذا يزداد في قلوبنا حبُّ فلان ويبقى حبُّ غيره في حدوده الدنيا، وعلى هذا سأطلعك.

المحبّة بذرة تُلقى في أرض القلب فإذا رُويَت بما يناسبها من الماء امتدّت جذورها فأصبحت ثابتة راسية في أرضها، ثم نمت حتى تصير شجرة ذات عطر وثمار، عطر فواح، يدع جوَّ الحياة جميلاً ممتعًا رائقًا، وثمار منها: الشوق للحبيب، وطلب وصال القلوب، والاستر واح بالقرب، واحتمال الزلات، وغفران الهفوات، والدعاء في الصلوات، ورجاء اللقاء في الجنات.

---

(1) الحديث بهذا السياق رواه الطبراني في المعجم الأوسط، ح5220، وأبو الشيخ الأصفهاني في أمثال الحديث، ح107، وأبو نعيم في معرفة الصحابة، ح4945، وفي حلية الأولياء (196/2)، وابن منده في النفس والروح، كما نقله عنه ابن القيم في كتابه الروح، وقد ضعفه عدد من العلماء. والمرفوع منه، وهو قوله ص (الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ ...) صحيح متفق عليه، رواه البخاري، ح 3336، ومسلم، 2368، وغيرهما.

وقد ألقى اللّه تعالى في قلبي بذور محبّتك – يا أبا عبيدة – ثم ما لبثت هذه المحبة أن صارت شجرة وارفة الظلال، فوّاحة العطر، طيبة الثمار، أصلها ثابت، وأرجو أن يصل فرعها إلى السماء.

وقد نظرتُ فوجدتُّ أني لست الوحيد الذي يحبّك، ولكني – بما أجد في قلبي – لعلي أكون أكثرهم حبًّا لك، وجدتُّ أن إخواني – أبناء الدعوة القدماء – كلهم يحبونك، وهؤلاء قوم قد درجوا في طريق المحبّة، وتربّوا على صفاء القلوب، واتَّصلت أرواحهم بالرحمن بسببٍ، فصار إجماعهم في الحبِّ حجةً من حجج اللّه تعالى أن اللّه يحبُّ فلانًا [1]، إذ ألقى في قلوبهم محبته، ولا نزكي على اللّه أحدًا.

إما بماذا رويت بذور محبّتك في قلبي، فقد بحثتُ فيه فوجدتُّ: وجدتك رويتها بماء (البشاشة)، و(البسمة الصادقة)، و(الوجه الراضي)، فإذا نظرت إليك دخل إلى قلبي السرور وشعرت بالحنين، والوجه معبّر عما في القلب، وأين أنت من ذاك الذي إذا نظرتَ إليه وجدتَّه عابسًا عُبوس السخط، مقطبًّا تقطيب التذمُّر، فما تلبث أن تُشيح بوجهك عنه

(1) هذا ظني بهم، واللّه حسيبهم، ولا أزكي على اللّه أحدًا، وأعوذ باللّه تعالى من أن أكون من المتألين عليه بغير علم.

وقد جلّل بالسواد قلبك.

ثم وجدتك قد رويتها بماء (الحياء)، وهو خُلُقٌ من شعب الإيمان، وهو لا يأتي إلا بخير، وقد كان حبيبنا ﷺ أشدَّ حياء من العذراء في خدرها[1].

وفي مرات كثيرة كنت تروي بذرة محبّتك في قلبي بماء (السخاء)، وهو ماء يورث في الناس المحبّة والسؤدد، فأنا أشعر – أحيانًا – أنه ليس شيءٌ مما بيدك لك، وأشعر – أحيانًا – بأنك لا تجد أنك أحقّ من إخوانك بشيء هو لك، وأنا – يا أحمد – أزعم أني بالرجال عارف، والسخاء الذي عند خُلُقٌ جُبِلت عليه، وليس تصنّعًا تتصنّعه.

وتروي بذرة محبتك في القلوب بماء (المعاونة)، فلم أجد – وقد عشتُ معك – في قاموسك: هذا واجبي وهذا واجبك، ولم أرَ في سلوكك: هذا دوري وهذا دورك، فكأنك جُبِلت على أن تعاون كل من حولك، وتحمل معهم أعباءهم.

وبماء (حُرقة القلب) تروي تلك البذرة أيضًا، حُرقةُ قلبك على حركتك ودعوتك، حُرقَتُه على الجهاد، وحُرقَتُه غيظًا على الأعداء، فكأنك والله – بل أنت والله، وأنا أحلف غير حانث –

---

(1) ورد ذلك في حديث صحيح متفق عليه: صحيح البخاري، ح 3562، ح 6119، ح 2320، صحيح مسلم، ح 2320.

تعشق هذه الحركة عشقًا، فكيف لا أحبك أنا وإخواني.
ويشهد اللّه أنني كلما كنت أسمع بخبر أثخن فيه رجالنا بالعدوّ أتمنّى أن أراك لأرى تلك السعادة التي تكون في عينيك إثر ذلك الخبر، فأشعر بنشوة تملك قلبي لسعادتك تلك.
ثم أنت – ولا أزكيك على اللّه – طائع للّه، وبهذا فإن اللّه تعالى هو الذي يروي بذرة محبتك في قلوبنا، وينمّيها أيها الحبيب.
هذه بعض الأسباب التي لأجلها أحببتك، بل فلأصحح عبارتي: فإني أحببتك ابتداءً على غير اختيار مني، على قاعدة (الأرواح جنود مجندة)، ولكن هذه الأسباب التي زادت محبتك في قلبي حتى وصلت إلى ما وصلت إليه
أردتُ أن تعرف هذا لتحافظ عليه، فهذه العوامل وغيرها مما فيك من الأخلاق الحسنة كما حببتك إليّ ستحببك إلى صالحي عباد اللّه، إن شاء اللّه تعالى.
فيا أحمد: عرفت فالزم.

أنت والقرآن

أيها الابن الغالي، أبا عبيدة:

هذه وصيتي الأولى لك: أن تتعاهد كتاب الله تعالى وتديم التواصل معه، فهو خير ما يتمسك به المؤمن في كل حين، فما بالك بالمؤمن المبتلى؟

والقرآن خير ما يرزقك طمأنينة النفس ورضى القلب.

وقد أمرنا رسول الله ﷺ بذلك، فقال: (اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لأَصْحَابِهِ)[1]، وفي الحديث الآخر يقول ﷺ: (يُؤْتَى بِالْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَهْلِهِ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ تَقْدُمُهُ سُورَةُ الْبَقَرَةِ، وَآلُ عِمْرَانَ..... تُحَاجَّانِ عَنْ صَاحِبِهِمَا)[2].

وحسبك من كتاب تقرؤه فتحصل بكل حرف منه على عشر حسنات[3]، وتنادى يوم القيامة: (اقْرَأْ، وَارْتَقِ، وَرَتِّلْ كَمَا

---

(1) صحيح مسلم، ح 804.

(2) صحيح مسلم، ح 805

(3) جاء في ذلك حديث يرويه ابن مسعود ا، يقول: قَالَ رَسُولُ اللّه ص: (مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللّه فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لاَ أَقُولُ الم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلاَمٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ). رواه الترمذي، ح 2910، وقال: "هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ".

كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنْزِلَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَؤُهَا) [1].

أيها الحبيب الغالي:

إني لأتطلع بشوق إلى اليوم الذي يبلغني فيه أنك أتممت حفظ كتاب الله تعالى وأتقنته، ولا تنس ما كنت قد أوصيتك به سابقًا: احرص على أن تنيل أبويك الكريمين شرف لبس تاج الوقار يوم القيامة، والذي كل ياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها، وهو تاج يضعه الله تعالى على رأس والدَيْ حافظ القرآن [2].

فيا أحمد: عرفتَ فالزم.

---

(1) رواه أبو داود، ح 1464، والترمذي، ح 2914، وقال: "هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ"، وأول الحديث: (يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ: اقْرَأْ، وَارْتَقِ ...الخ).

(2) بل هو تاج يوضع على رأس حافظ القرآن نفسه، أما والداه فيكسيان حلتين، كما في مسند أحمد، ح 22950، بإسناد حسن، ضمن حديث طويل عن فضل صاحب القرآن، وفيه أن النبي ﷺ قال: (فَيُعْطَى الْمُلْكَ بِيَمِينِهِ، وَالْخُلْدَ بِشِمَالِهِ، وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ، وَيُكْسَى وَالِدَاهُ حُلَّتَيْنِ لا يُقَوَّمُ لَهُمَا أَهْلُ الدُّنْيَا فَيَقُولانِ: بِمَ كُسِينَا هَذَا؟ فَيُقَالُ: بِأَخْذِ وَلَدِكُمَا الْقُرْآنَ)

الأخوّة والمحبّة وصفاء القلب

هذه - أيها الابن الغالي - معانٍ ثلاثةٌ مرتبطة بعضها ببعض، وهي وصيتي الثانية لك.

فالله - سبحانه وتعالى - وصف المؤمنين بأنهم (إخوة)، والأخوّة تقتضي الحب، والحبُّ طريق الشعور بحلاوة الإيمان.

استمع إلى رسولنا ﷺ يقول: (ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فيه وَجَدَ بِهِنَّ حَلاوَةَ الإيمَانِ: مَنْ كَانَ اللّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لا يُحِبُّهُ إلا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللّهُ مِنْهُ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ) [1].

أما صفاء القلب فحسبك فيه الحديث الذي فيه أن الرسول ﷺ أخبر عن رجل أنه من أهل الجنة ثلاث مرات، فاحتال عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما وحلَّ عليه ضيفًا ثلاثة أيام، يبات فيها عنده ليتعرف إلى العبادة التي أوصلته أن يُبشَّر بالجنة، فلم يجده يختلف عن غيره بكثرة عبادة، وعندما سأله قال له أنه لا يبيت وفي قلبه حقد على أي مسلم [2].

---

(1) الحديث صحيح متفق عليه: البخاري، ح 16، ح 21، ح 6941، ومسلم، ح 43، واللفظ لمسلم.

(2) الحديث صحيح، وإسناده على شرط الشيخين كما قال الأرنؤوط، وهو في مسند أحمد، ح 12697، عن أَنَس بن مَالِك رضي الله عنه ، ولفظه، قال: (كُنَّا جُلُوسًا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: يَطْلُعُ عَلَيْكُمُ الآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ=

أيها الأخ الذي هو قطعة من روحي:

أريد أن أكتب لك بعض النصوص من السلف في هذا الباب لتشدَّ عليها يدك، وتهتدي بها في دربك:

- قال الفضيل بن عياض: نظر الأخ إلى وجه أخيه على

= الْجَنَّة، فَطَلَعَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَار، تَنْطفُ لحْيَتُهُ مِنْ وُضُوئه، قَدْ تَعَلَّقَ نَعْلَيْه فِي يَده الشِّمَال، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ، قَالَ النَّبيُّ ﷺ، مثْلَ ذَلكَ، فَطَلَعَ ذَلكَ الرَّجُلُ مثْلَ الْمَرَّة الأُولَى. فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الثَّالثُ، قَالَ النَّبيُّ ﷺ، مثْلَ مَقَالَته أَيْضًا، فَطَلَعَ ذَلكَ الرَّجُلُ عَلَى مثْل حَاله الأُولَى، فَلَمَّا قَامَ النَّبيُّ ﷺ تَبعَهُ عَبْدُ اللّه بْنُ عَمْرو بْن الْعَاص فَقَالَ: إنِّي لاحَيْتُ أَبي فَأَقْسَمْتُ أَنْ لا أَدْخُلَ عَلَيْه ثَلاثًا، فَإنْ رَأَيْتَ أَنْ تُؤْوِيَني إلَيْكَ حَتَّى تَمْضيَ فَعَلْتَ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ أَنَسٌ: وَكَانَ عَبْدُ اللّه يُحَدِّثُ أَنَّهُ بَاتَ مَعَهُ تلْكَ اللَّيَالي الثَّلاث، فَلَمْ يَرَهُ يَقُومُ منَ اللَّيْل شَيْئًا، غَيْرَ أَنَّهُ إذَا تَعَارَّ وَتَقَلَّبَ عَلَى فرَاشه ذَكَرَ اللّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَكَبَّر، حَتَّى يَقُومَ لصَلاة الْفَجْر. قَالَ عَبْدُ اللّه: غَيْرَ أَنِّي لَمْ أَسْمَعْهُ يَقُولُ إلا خَيْرًا، فَلَمَّا مَضَت الثَّلاثُ لَيَال وَكدْتُ أَنْ أَحْقرَ عَمَلَهُ، قُلْتُ: يَا عَبْدَ اللّه إنِّي لَمْ يَكُنْ بَيْني وَبَيْنَ أَبي غَضَبٌ وَلا هَجْرٌ ثَمَّ، وَلَكنْ سَمعْتُ رَسُولَ اللّه ﷺ يَقُولُ لَكَ ثَلاثَ مرَار: يَطْلُعُ عَلَيْكُمُ الآنَ رَجُلٌ منْ أَهْل الجنّة. فَطَلَعْتَ أَنْتَ الثَّلاثَ مرَار، فَأَرَدْتُ أَنْ آويَ إلَيْكَ لأَنْظُرَ مَا عَمَلُكَ، فَأَقْتَديَ به، فَلَمْ أَرَكَ تَعْمَلُ كَثيرَ عَمَل، فَمَا الَّذي بَلَغَ بكَ مَا قَالَ رَسُولُ اللّه ﷺ؟ فَقَالَ: مَا هُوَ إلا مَا رَأَيْتَ. قَالَ: فَلَمَّا وَلَّيْتُ دَعَاني، فَقَالَ: مَا هُوَ إلا مَا رَأَيْتَ، غَيْرَ أَنِّي لا أَجدُ في نَفْسي لأَحَد منَ الْمُسْلمينَ غشًّا، وَلا أَحْسُدُ أَحَدًا عَلَى خَيْر أَعْطَاهُ اللّهُ إيَّاهُ. فَقَالَ عَبْدُ اللّه هَذه الَّتي بَلَغَتْ بكَ، وَهيَ الَّتي لا نُطيقُ).

المودة والرحمة عبادة [1].

- وقال ابن المبارك: (ألذُّ الأشياء مجالسة الإخوان)[2].
- أوصى علقمةُ الْعُطَارِدِيَّ ابنه حين حضرته الوفاة، فقال: (يَا بُنَيَّ؛ إِذَا عَرَضَتْ لَكَ إِلَى صُحْبَةِ الرِّجَالِ حَاجَةٌ فَاصْحَبْ مَنْ إِذَا خَدَمْتَهُ صَانَكَ، وإن صحبته زانك، وإن قعدت بك مؤنة مانك، اصحب مَنْ إذا مَدَدْتَ يَدَكَ بِخَيْرٍ مَدَّهَا، وَإِنْ رَأَى مِنْكَ حَسَنَةً عَدَّهَا، وَإِنْ رَأَى سَيِّئَةً سَدَّهَا، اصْحَبْ مَنْ إِذَا سَأَلْتَهُ أَعْطَاكَ، وَإِنْ سَكَتَّ ابْتَدَاكَ، وَإِنْ نَزَلَتْ بِكَ نَازِلَةٌ وَاسَاكَ، اصْحَبْ مَنْ إِذَا قُلْتَ صَدَّقَ قَوْلَكَ، وَإِنْ حاولتما أمرًا أمّرك، وإن تنازعتما آثرك)[3].

---

(1) أبو طالب المكي (ت 386 هـ)، قوت القلوب في معاملة المحبوب، 2/ 365.

(2) الغزالي، إحياء علوم الدين، 2/ 187، وهي في قوت القلوب لأبي طالب المكي منسوبة لـ (سفيان بن عيينة).

(3) الغزالي، إحياء علوم الدين، 2/ 171. والنص الذي ذكره الغزالي أصله في قوت القلوب لأبي طالب المكي، 2/ 363، والأثر مروي نصفه الأول بالسند عن العطاردي في آداب الصحبة لأبي عبد الرحمن السلمي، ص: 110، ح 175، وروى ابن أبي الدنيا في كتابه الإخوان، ح 44 أجزاء منه، بدون نسبته للعطاردي، وفيه (عَنْ أَبِي عَمْرٍو الْعَوْفِيِّ، قَالَ: كَانَ يُقَالُ: اصْحَبْ مَنْ إِنْ ...).

- وكان عمر بن عبد العزيز يقول: (مَا أَعْطَيْتُ أَحَدًا مَالاً إلا وَأَنَا أَسْتَقِلُّهُ، وَإِنِّي أَسْتَحْيِي مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِنْ سَأَلْتُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لأَخٍ مِنْ إِخْوَانِي [الجنة] وَأَبْخَلُ عَنْهُ بِالدُّنْيَا، وَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ قِيلَ لِي: لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا بِيَدِكَ كُنْتَ [بها] أَبْخَلَ) [1].
- وكان عليٌّ عليه السلام يقول: (لَعشرون درهماً أعطيها أخي في اللّه عزّ وجلّ أحبّ إلي من أنْ أتصدق بمائة درهم على المساكين) [2].
- وكان محمد بن علي الباقر يَدْخُلُ عَلَيْه إخْوَانه فَلا يَخْرُجُونَ مِنْ عِنْده حَتَّى يُطْعِمَهُمُ الطَّعَامَ الطَّيِّبَ وَيَكْسُوَهُمُ الثِّيَابَ الْحَسَنَةَ وَيَهَبَ لَهُمُ الدَّرَاهِمَ، فتقول له مولاته سلمى: مَا تَصْنَعُ؟ فَيَقُولُ: (يَا سَلْمَى، مَا يُؤَمَّلُ فِي الدُّنْيَا بَعْدَ الْمَعَارِفِ وَالإِخْوَانِ) [3].
- أما أبو سليمان الداراني فقال: (إني لأُلْقِمُ اللقمة أخًا من إخواني فأجد طعمها في حلقي) [4].

---

(1) الإخوان لابن أبي الدنيا، ح 160، وما بين معكوفتين ليس في النسخة المطبوعة من كتاب ابن أبي الدنيا.

(2) قوت القلوب لأبي طالب المكي، 2/ 376.

(3) الإخوان لابن أبي الدنيا، ح 177.

(4) الغزالي، إحياء علوم الدين، 2/ 174.

- أعجز الناس من قصر في طلب الإخوان، وأعجز منه من ضيع من ظفر منهم[1].
- وقال عمر ﵁: (ثَلاثٌ يُصفِينَ لَكَ وُدَّ أَخِيكَ تُسَلِّمُ عَلَيْه إِذَا لَقِيتَهُ، وَتُوسعُ لَهُ فِي الْمَجْلِسِ، وَتَدْعُوهُ بِأَحَبِّ أَسْمَائه إِلَيْه)[2].

أيها الحبيب الغالي:

لو أردت أن أكمل لك في هذا الموضوع لما كفتني الأوراق، وبعض الخير يدلُّ على بعض، وهذا غيض من فيض، ووالله إن الإخوة والمحبة في الله نعمة عظيمة، لا يعرف قدرها ولذّتها إلا من ذاقها وعرفها، فاحرص عليها، وحسبك بخصلة تنتج

---

(1) قوت القلوب لأبي طالب المكي، 2/ 373، منسوبًا لبعض السلف دون تسمية لقائله، وذكره الماوردي في أدب الدنيا والدين، ص: 161، ونسبه لـ (خالد بن صفوان).

(2) رواه منسوبًا لعمر ﵁ من قوله: معمر بن راشد في جامعه، ح 19865، وابن المبارك في الزهد والرقائق، ح 352، وابن وهب في الجامع، ح 222، وابن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق، ح 316، والبيهقي في شعب الإيمان، ح 8398، وأبو عبد الرحمن السلمي في آداب الصحبة، ح 42.
والأثر مروي مرفوعًا إلى النبي ﷺ كما في: التاريخ الكبير للبخاري، 7/ 352، في ترجمة (مصعب بن شيبة)، وعلل الحديث لابن أبي حاتم، ح 2279، والمعجم الأوسط للطبراني، ح 3496، ح 8369، والمستدرك للحاكم، ح 5815، ونقل ابن أبي حاتم عن أبيه أنه قال: "هذا حديث منكر".

منها محبة الرحمن للعبد، كما في حديث (وجبت محبتي للمتحابين فيّ)[1].

وتوصلك إلى الاستظلال بظلِّ العرش في المحشر، كما في حديث (سَبْعَةٌ يُظلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظلِّه، يَوْمَ لاَ ظلَّ إلا ظلُّهُ)، وذكر فيهم (وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ)[2].

إني أحبك في اللّه، وأسأله أن يديم هذا الحب في قلبي، ويرفع به درجتي في الدنيا والآخرة.

(1) حديث صحيح، رواه أحمد في المسند، ح 22030، ومتنه: عن رسول اللّه ﷺ: (قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ وَالْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ وَالْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ).

(2) حديث صحيح متفق عليه: صحيح البخاري، ح 660، ح 1423، ح 6806، صحيح مسلم، ح 1031.

الابتلاء والرضى

الابتلاء سنة من سنن الله تعالى في هذه الحياة، لعلي لست بحاجة إلى تعليمك ذلك، ولكنه التذكير، والذكرى تنفع المؤمنين، فقد بيّن الله تعالى لنا هذا القانون، فقال: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ۝٣١﴾ [محمد].

وأخبرنا رسولنا ﷺ عن ذلك بقوله عندما سئل: (يَا رَسُولَ اللّه أيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلاءً؟) فقال: (الأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الصَّالِحُونَ، ثُمَّ الأَمْثَلُ، فَالأَمْثَلُ مِنَ النَّاسِ، يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِه، فَإِنْ كَانَ فِي دِينِه صَلَابَةٌ زِيدَ فِي بَلَائِه، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِه رِقَّةٌ خُفِّفَ عَنْهُ، وَمَا يَزَالُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَمْشِيَ عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ لَيْسَ عَلَيْه خَطِيئَةٌ) [1].

وقد سئل الإمام الشافعي رضي الله عنه: أيهما خير للرجل أن يبتلى أم يمكن؟ فأجاب: لا يمكن حتى يبتلى [2].

(1) مسند أحمد، ح 1481، وهو حديث حسن.

(2) هذه العبارة مشهورة عن الشافعي رضي الله عنه، ولكنها غير مروية عنه بالسند فيما أعلم، ولم يذكرها عنه من قدماء العلماء قبل العصر الحديث سوى ابن تيمية في كتبه، وتلميذه ابن القيم نقلا عنه، وهناك عبارة بنفس المعنى، وتختلف ألفاظها ذكرها الغزالي في إحياء علوم الدين. وأيًّا كان الكلام في ثبوتها، فالتمكين الذي يتحدث عنه =

نعم – أيها الابن الغالي – إنها طريق الأنبياء والصالحين، طريق كلها أشواك، حفّها اللّه تعالى بالمكاره، ولكنه جعل في نهايتها جنّة عرضها السماوات والأرض، أعدّها للمؤمنين الصابرين، فمهما طال بك البلاء فاعلم أن اللّه لا يريد بك إلا الخير، وإنما هي الدنيا، لا تساوي عند اللّه جناح بعوضة، ولذلك يعطيها اللّه أعداءه، ويحرمها – في أحيانٍ كثيرةٍ – أولياءه.

ولعل هذه الفكرة – كما أسلفتُ – ليست بحاجة إلى مزيد استدلال، فأنت تدركها، ولكني أريد أن أحدثك عن تفاعل الناس المختلف مع هذا الابتلاء، مع هذا الامتحان:

فريق من الناس – أعاذني اللّه وإياك من أن نكون منهم – يقابلون ابتلاء اللّه تعالى بالسخط والجزع والشكوى، وهؤلاء خسروا دنياهم وآخرتهم، أما الدنيا فلأنهم يتعبون أنفسهم فيها بلا طائل، فهم لن يستطيعوا أن يغيروا من قدر اللّه شيئًا.

= الشافعي هنا هو تمكين الدين في النفس، وليس التمكين الذي يعني السلطان على الأرض. (من خلاصة بحث لي حول علاقة الابتلاء بالتمكين).

وأما الآخرة فلأنهم أسخطوا الله تعالى عندما لم يستسلموا لقضائه، ولم يصبروا على بلائه[1].

أما الفريق الثاني فهو فريق الصابرين الذين بشّرهم الله تعالى بقوله: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [البقرة]

والصبر هو شطر الإيمان[2]، وهو من الخير الذي يتميز به

(1) هذه الفقرة مما أضفته، إذ لم تكن موجودة في النص الأصلي، وهي لازمة لاكتمال المعنى.

(2) عبارة (الصبر هو شطر الإيمان) كنت أظنها حين كتبتها هنا حديثًا صحيحًا، وتبين لي لاحقًا أن الحديث الصحيح هو (الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ)، كما رواه مسلم في صحيحه، ح 223، أما الصبر فقد جاء فيه حديث بنفس المعنى، وفيه (الصَّبْرُ نِصْفُ الإِيمَانِ). وقد روي عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا (كما رواه البيهقي في شعب الإيمان، ح 9265، وابن شاهين في الترغيب في فضائل الأعمال، ح 271، وابن الأعرابي في معجمه، ح 592)، وموقوفًا (كما رواه: الطبراني في المعجم الكبير، ح 8544، والحاكم في المستدرك، ح 3666، والبيهقي في شعب الإيمان، ح 47، ح 9266، وأبو بكر بن الخلال في السنة، ح 1509)، وقد صحح الحاكم – ووافقه الذهبي – الرواية الموقوفة، وقد ضعف البيهقي الرواية المرفوعة، وقال: (وَالْمَوْقُوفُ أَصَحُّ).

المؤمن الذي إن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له [(1)].

ولكن هناك فريقًا ثالثًا – أسأل الله تعالى أن يجعلني وإياك منهم – وهو فريق يتعامل مع ابتلاء الله تعالى بشيء هو أعظم من الصبر، وذلك هو (الرضى).

فالصبر شعور يكون المؤمن الصابر فيه مستسلمًا لقدر الله تعالى، ثابتًا على طاعته، رغم أن شعور الألم موجود في قلبه.

أما الراضون عن الله تعالى فقد زال من قلوبهم الألم الناتج عن الابتلاء؛ لشعورهم أن هذا الابتلاء هو مراد الحبيب جلَّ في علاه، والمحبُّ الصادق يحبُّ كل شيء يحبه حبيبه، فإذا أحب الله أن يبتليك فاعلم أنه لا يريد لك إلا الخير، وأنه أدرى بما يصلحك في دينك، ولذلك إن استطعت أن تطرد من نفسك الشعور بالألم الناتج عن الابتلاء، بل أن تشعر بالفرح لأن الله تعالى اختارك لهذا الابتلاء فاحرص على ذلك، وستصل إلى شعور الرضى عن الله تعالى، والفرح بكل ما جاء من عند الله تعالى.

---

(1) في صحيح مسلم، ح 2999: قال ﷺ: (عَجَبًا لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ).

واعلم – أيها الحبيب – أنه قد قيل إن لله عبادًا لا يصلحهم إلا الغنى، فإن أفقرهم فسدوا، وإن له عبادًا لا يصلحهم إلا الفقر، فإن أغناهم فسدوا [1].

فلذلك فالله لا يريد بك إلا الخير، فاقبل عن الله ذلك الخير الذي يريده منك لتكون من هؤلاء الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه، فقد قرن الله رضاه عن عباده برضاهم عنه في مواضع عديدة من كتابه العزيز:

﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١١٩ ﴾ [المائدة]

﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٠٠ ﴾ [التوبة]

---

(1) كنت قد كتبت في الأصل (واعلم – أيها الحبيب – أن الله تعالى قال كما في الحديث: إن لي عبادًا ....)، وعندما أردت تخريج الحديث، وهو متداول بين المتحدثين والوعاظ بكثرة، فوجئت بأنه لا أصل له في كتب الحديث كلها، ولم أجده مذكورًا بعد البحث في آلاف الكتب إلا في ثلاثة من كتب الفقه الشافعي، وهي: بحر المذهب للروياني (المتوفى 502 هـ)، 3/ 227، والبيان في مذهب الإمام الشافعي، لأبي الحسين العمراني اليمني (المتوفى: 558هـ)، 3/ 450، وكفاية النبيه في شرح التنبيه لابن الرِّفْعَة (المتوفى 710 هـ)، 6/ 220

﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنْهُۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٖ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٢٢ ﴾ [المجادلة]

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٧ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٖ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ ۝٨ ﴾ [البينة]

فانظر – هداني الله وإياك – إلى عظيم أجر الراضين عن الله، والفوز العظيم الذي وعدهم به.

أسأل الله تعالى أن يجعلك من الراضين عن ربهم، وأن يرضى عنك، اللهم آمين.

وصايا متفرقة

لقد وددت لو أفتح لك أبواب الخير كلها، وأدلك على كل طريق يوصلك إلى رضى الله، ولكني سأختصر بكلمات موجزة

- احرص على أن تنمّي نفسك فكرًا وعلمًا وثقافةً، وتزداد من كل خير، وليكن لك ورد يومي من المطالعة.
- قيام الليل يورث الوجه نورًا، والقلبَ رضًى وسكينة.
- بادر في عمل الخير، فأنت قادر، ولا تنتظر الأوامر، فالحريص على المآثر لا يرتضي لنفسه أن يكون في الصف الآخِر.
- إن استطعت أن لا يسبقك إلى الله وجنّته أحد فافعل.
- اجتهد لنيل محبّة الله تعالى، فبقدر توجه قلبك نحو الله، يوجّهُ الله قلوب الخلق إليك، فينادَى (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلاَنًا فَأَحِبُّوهُ) [1].

---

(1) نص الحديث: (إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ العَبْدَ نَادَى جِبْرِيلَ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلاَنًا فَأَحْبِبْهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلاَنًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ القَبُولُ فِي الأَرْضِ)، وهو صحيح متفق عليه: صحيح البخاري، ح 3209، ح 6040، ح 7485، صحيح مسلم، ح 2637.

- أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم[1]، واحذر من الذين يقولون (اتَّقِ شَرَّ مَنْ أَحْسَنْتَ إِلَيْهِ)[2]، فإن المعروف مع الله لا يضيع.
- لا تكثر من المزاح، فإن لكل شيءٍ بذورًا، وبذور العداوة المزاح.
- امزح! ولكن لا تقُل إلا حقًّا.
- من طاب لسانه كثر إخوانه ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [الإسراء].

---

(1) هذا شطر بيت من قصيدة لأبي الفتح البستي (المتوفى: 401 هـ)، ويقول فيه:

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم ... فطالما استعبد الإنسان إحسان

وقد حقق العلامة الشيخ عبد الفتاح أبو غدة – رحمه الله تعالى – هذه القصيدة وعلق عليها، ونشرها مكتب المطبوعات الإسلامية في حلب سنة 1404 هـ / 1984 م.

(2) هو مثل دارج ذكره الميداني في (مجمع الأمثال، 1/ 145)، وقد ذكره السخاوي في (المقاصد الحسنة، ص: 60)، وبيّن أنه ليس حديثًا نبويًّا، فقال: (حَدِيث: اتَّقِ شَرَّ مَنْ أَحْسَنْتَ إِلَيْهِ، لا أعرفه، ويشبه أن يكون من كلام بعض السلف، وليس على إطلاقه، بل هو محمول على اللئام غير الكرام).

- تبسمك في وجه أخيك صدقة [1]، ولا تحقرنّ من المعروف شيئًا، ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق [2].

(1) هو حديث نبوي شريف، رواه البزار في مسنده، ح 4070، وابن حبان في صحيحه، ح 474، ح 529، والطبراني في المعجم الأوسط، ح 8342.
(2) هو حديث نبوي شريف، رواه مسلم في صحيحه، ح 2626.

أنا وأنت والدعاء

اعلم – أيها الحبيب – أن دعاء الأخ لأخيه في ظهر الغيب مستجاب، ففي الحديث: (دَعْوَةُ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ لأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ مُسْتَجَابَةٌ، عِنْدَ رَأْسِهِ مَلَكٌ مُوَكَّلٌ كُلَّمَا دَعَا لأَخِيهِ بِخَيْرٍ، قَالَ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِهِ: آمِينَ وَلَكَ بِمِثْلٍ)[1].

وكان أبو الدرداء رضي الله عنه يقول: (إِنِّي لأَدْعُو لِسَبْعِينَ أَخًا مِنْ إِخْوَانِي وَأَنَا فِي الصَّلاةِ، أُسَمِّيهِمْ بِأَسْمَائِهِمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ)[2].

وقال أحمد بن حنبل لابن الإمام الشافعي: (أبوك أحد الستة الذين أدعو لهم في كل سحر)[3].

أما أنا – يا أحمد – فإني أدعو في كل ليلة في قيامي لأكثر من ثمانين أخًا أسميهم بأسمائهم، وأحيانًا أدعو لمائة وعشرين أخًا أسميهم، ثم بعد ذلك أدعو لستة أخصهم بدعاء خاصٍ، أنت واحد منهم، من هؤلاء الستة.

وسأخبرك بالذي أدعو لك به كل ليلة:

---

(1) صحيح مسلم، ح 2733.

(2) رواه ابن المنذر في الأوسط، ح 1579، ورواه ابن أبي شيبة في المصنف، ح 8102، مختصرًا قال: (إِنِّي لأَدْعُو لِسَبْعِينَ مِنْ إِخْوَانِي وَأَنَا سَاجِدٌ).

(3) مناقب الشافعي للبيهقي، 2/ 307، تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، 4/ 323

اللهم احفظ أخي وحبيب قلبي ومهجة فؤادي أحمد حسين، اللهم يسّر له أموره في الدنيا والآخرة، اللهم تقبّل جهده وجهاده، اللهم أقرَّ عيوني وعيون والديه وأهله به، ورُدَّه إليهم سالمًا غانمًا، اللهم أقرَّ عيوني برؤيته حرًّا عزيزًا كريمًا حافظًا لكتابك، إمامًا من أئمة دينك، قائدًا من قادة دعوتك، اللهم ارزقه الطمأنينة والسكينة، والرضى والرضوان، ارض عنه يا ربِّ ورضِّه عنك، اللهم الطف به في حكمك وقضائك، اللهم اجعل حبّي له خالصًا في سبيلك، سبيلاً موصلة إلى جنّتك، سببًا لاستحقاق محبتك، سببًا للحشر تحت ظل عرشك يوم لا ظلَّ إلا ظلك، واجمعني وإياه عند في جنان النعيم في الفردوس الأعلى، اللهم آمين.

أملي منك – أيها الحبيب – أن لا تنساني من دعوة صالحة.

أما أنا فعهدي مع ربي ومع نفسي أن أديم الدعاء لك إن شاء الله تعالى حتى يأذن الله باللقاء عنده، ولا تظنّن أني أبالغ في عهودي، فإني – إن شاء الله – عازم على الوفاء.

الخاتمة

أيامنا معًا تقترب من نهايتها، ولا أدري لعله لا يكتب لنا لقاء بعد هذا اليوم، ووالله إني لأنظر إلى الساعة التي يحين فيها الفراق وأشعر بحسرتها قبل مجيئها، وقد كان الإمام سفيان بن عيينة ينشد بيت الشعر الذي يقول فيه الشاعر:

وَجَدْتُ مُصِيبَاتِ الزَّمَانِ جَمِيعَهَا
سِوَى فُرْقَةِ الأَحْبَابِ هَيِّنَةَ الْخَطْبِ

ويقول: (لَقَدْ عَهِدْتُ أَقْوَامًا فَارَقْتُهُمْ مُنْذُ ثَلاثِينَ سَنَةً مَا يُخَيَّلُ إِلَيَّ أَنَّ حَسْرَتَهُمْ ذَهَبَتْ مِنْ قَلْبِي)[1].

وإني عندما أتذكر قائمة أحبابي الذين فارقتهم، ومنهم اللحام وإياد وبركة والرمحي، لتدمع عيني شوقًا لهم، وعندما تضاف أنت أيضًا إلى هذه القائمة ستزيد حسرتي، ولكنّ الذي يسلّيني ويصبّرني رجائي من اللّه – جلّ في علاه – أن يمُنَّ علينا باللقاء عنده إن لم يكتب لنا لقاءً في الدنيا.

أستودعك اللّه الذي لا تضيع ودائعه

(1) قوت القلوب لأبي طالب المكي ، 2/ 375، وإحياء علوم الدين للغزالي، 2/188.

أخوك المحبّ لك

عيسى خيري الجعبري

(أبو خيري)

سجن أيالون/ الرملة/ قسم 18/ غرفة 10

الثلاثاء، 13/ 5/ 2008 م

أخوك المحب لك
عيسى خيري الجعبري
أبو خيري
سجن أيالون/ الرملة/ قسم 18/ غرفة 10
الثلاثاء ١٣/ ٥/ ٢٠٠٨م

الفهرس